

## الإزاحة ولغة التواصل الإعلامي

وسيم حجازي<sup>(\*)</sup>

الإزاحة - الانزياح - العدول - الانحراف - الانتهاك - الخرق - التجاوز... كلها مصطلحات قد تعني في الحقل الفني والأسلوبي، «كسر المألوف» وخرق قانون اللغة، إذ «الأسلوب ابتعاد عن الكلام المألوف والمستعمل»<sup>(1)</sup>. واللغة الشعرية ليست انحرافاً فحسب، وإنما انتهاك وخرق. «إن الشعر خرق مستمر للقواعد والمقاييس»<sup>(2)</sup>.

فلذا كان لنا أن نفهم ذلك في الفن عموماً، وفي الشعر خصوصاً فهل يمكن «كسر المألوف» و «إزاحة المعنى» في لغة التواصل اليومي عبر الخطاب الإعلامي الاجتماعي - السياسي؟

اللغة، هي أوضح خصائص الجنس البشري تميزاً له، ودلالة على طبيعته الفريدة، وهي ليست مجرد نظام لتوليد الأصوات الناقلة للمعنى، بل لعلها أداة الفكر ووعاء المعرفة. كما أنها بجانب كونها ظاهرة نفسية فهي نشاط جماعي ناتج عن التفاعلات الاجتماعية<sup>(3)</sup>. وفي هذا تأكيد على الدور الهام الذي تلعبه سواء في تطور المجتمع والحفاظ عليه، أو في تشكيل الأنشطة الذهنية والعقلية للفرد، حيث تصبح المساهمة في المعاني المشتركة المرتبطة برموز اللغة، نشاطاً مرتبطاً بالعلاقات بين الأشخاص، تنبثق منه توقعات ثابتة ومفهومة لدى الجميع، تقود السلوك الإنساني في اتجاه النماذج التي يمكن التكهن بها.

إلا أننا نرى اليوم تكنولوجيا المعلومات قد فجّرت إشكالية اللغة كما لم يحدث لها من قبل، مستفيدة من التغيرات التي أحدثتها العلوم الإنسانية بعامة، واللسانيات بخاصة

(\*) استاذ في الجامعة اللبنانية، كلية الإعلام والتوثيق - الفرع الأول.

(1) موديس أبو ناضر: إشارة اللغة ودلالة الكلام، أبحاث نقدية، دار مختارات، بيروت، 1990.

(2) أدونيس: زمن الشعر، دار العودة، بيروت، 1978، ص 312.

(3) أنظر: مصطفى ناصف، «اللغة والتفسير والتواصل»، سلسلة عالم المعرفة، العدد 193، ك 2، 1995.

في الخطاب - النص - أو المرسلّة. فبعدما كان الخطاب مجرد رسالة يقوم طرفاها على المرسل والمرسل إليه (القارئ - المتلقي)، والإيصال هو هدف الرسالة، نرى أن هذا الإيصال لم يعد هدف اللغة، ووظيفتها الوحيدة. فاللغة باتت تملك أوجهاً تتعدى هذه الغاية إلى غايات أخرى متعددة<sup>(4)</sup>، استخدمتها وسائل الإعلام العالمية لبناء معانٍ جديدة. فالانزياح باللغة عن المعاني المألوفة في لغة الحياة اليومية، وتحوّل مضمون الرسالة - النص - من مجرد الإخبار إلى جعله معرفة، وجعل اللغة بذاتها بحثاً معرفياً يمكن أن تحمّل بعضامين مختلفتين ومتعددة تساعد على قراءة وفهم ما يحدث في عالمنا المعاصر.

### نظرية المعاني ووسائل الاتصال الإنساني

استرعت معضلة اللغة انتباه الفلاسفة خاصة بعد أن تبين لهم أهمية العالم الباطني؛ وهي تدور حول السؤال الآتي: بإمكان الألفاظ أن تدلّ تمام الدلالة على المعاني الداخلية أم أنها تقصر عن تعريف كل ما في الوجدان؟ واللغة تواطئية أم توقيفية؟<sup>(5)</sup>

في أواخر القرن السابع عشر وصف جون لوك في كتابه مقالات في التفاهم الإنساني، العلاقة بين الكلمات ومعانيها الداخلية لدى الأفراد والروابط بين الناس الذين يشكلون المجتمع، وقد كان من أشدّ الذين لاحظوا الروابط المتينة الكائنة بين اللغة والفكر، وفي رأيه أن العلاقة بينهما أكثر من احتكاك بزراني. علاقتهما من الداخل ولا نستطيع نحن أن نقضي على هذه العلاقة لنفصل بعضهما عن بعض<sup>(6)</sup>.

وهذا لا يعني بالنسبة لجون لوك بأن اللغة توقيفية حتى لو كنا نندفع بالسليقة إلى الكلام. فالإنسان يتواطأ مع صاحبه على وضع المفردات الخاصة التي تدلّ إلى معنى، والمعنى لا يأتي من الشيء المادي... الكلمات لا تعني أشياء بقدر ما تعني أفكاراً. علاقتها بالباطن لا بالخارج، بعالم النفس لا بعالم الطبيعة.

وفي خلال القرن الثامن عشر، قام كتّاب من أمثال عمانوئيل كانت بتطوير فكرة أن الجنس البشري يستجيب ليس للكلمة في ذاتها، أو في حقيقتها الموضوعية، وإنما للعالم الذي تبنيه وتشيده في ذهن الإنسان. وهذا التمييز بين العالم المحيط بنا والمعاني أو الأينية الموجودة في رؤوسنا تم تطويره من خلال كتابات البراجماتيين الأميركيين أمثال جون ديوي وويليام جيمس وتشارلز بيرس. وقد تبني هؤلاء وجهة النظر القائلة بأن الناس يحدّدون بشكل جماعي الأفكار حول البيئة التي يتأقلمون معها. أما كيف

(4) تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة الموزيني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1990.

(5) راجع كمال يوسف الحاج، في فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، 1978.

(6) John Locke, An Essay Concerning Human Understanding.

الفصل الثالث مقتبس عن: نظريات وسائل الإعلام تأليف: ملفين ديثر، روكيتش، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة 1992.

يحصل الإنسان على تفسيرات داخلية ذاتية للواقع الموضوعي للعالم فقد كان أهم موضوع للفلسفة طوال ألف السنين، وما زال له أهمية كبرى لأنه يبحث أكبر موضوع أساسي في الاتصال الإنساني. فإذا لم نصل إلى معاني ذاتية لمختلف نواحي الواقع الموضوعي، ونسميها، وننتفك على هذه المعاني، فإننا لن نستطيع الاتصال مع بعضنا حولها مثلما نفعل الآن. وقد كان أفلاطون أول الفلاسفة الذين وعوا خطورة هذه المعضلة ورغب أن يعالجها بدقة بجوابه عن السؤال: كيف نصل إلى المعاني بحيث يتفق الناس عليها؟<sup>(7)</sup> فهناك فئة واسعة من المعاني لا صعوبة واضحة في أمرها من الناحية الفلسفية. هذه المعاني يشارك في تقريرها عدد كبير من الناس، والأمثلة عليها واضحة: من بينها طفل، وكلب، وشجرة، وسماء. رموز محددة أو مغلقة أو ذات معانٍ متفق عليها، بمعنى أن ما تشير إليه كل كلمة من هذا القبيل هو مجموعة من التجارب المحددة. وهناك فئة أخرى من المعاني تقع بين الأشياء المحسوسة والمعاني المجردة. وهذه هي الوحدات الهندسية التي أشار إليها أفلاطون<sup>(8)</sup>.

فهما كان نوع النظام الذي نستخدمه للتوصل إلى تعريف عن شيء، أو عن حاله، أو وضعه، فإن مشكلة استخدام هذا المعنى بثبات تبقى ماثلة أمامنا. وهي مشكلة تتعلق بالاتفاق الجماعي حول القواعد التي تربط بين المفاهيم وبين معانيها. ويبدو واضحاً أن أهمية الاتفاق على المعاني ومعرفة العالم الذي نعيش فيه - كما يقول أفلاطون - لا يعتمد فقط على ما نلمسه بحواسنا وإنما بما اتفقنا عليه مع زملائنا حول المعاني المشتركة عن العالم الخارجي حولنا. وقد كان بُعد نظر أفلاطون عن دور الاتفاق في تركيب المعاني واضحاً في القصة الرمزية عن الكهف<sup>(9)</sup>.

بدون هذا الاتفاق قد يكون من الصعب أن نشيع فجأة مفاهيم جديدة، أو أن نعيد ترتيب اللغة والتاريخ والعقل والوجدان، وذلك بأن ننسى اللغة التي اتفقنا عليها والتي ارتبطت بتقاليد ثقافية ذات منهج موحد، تنبعث عن عقلية واضحة المنطلق بحيث نعني حين نستخدم اللغة ما نقول، أو نعرف ما نريد، أو ندرك كيف نعرض ما يدور في أذهاننا من أفكار، والآ نشوه اللغة بالزمن الممتد تفصيلاً، والآ نضيّع الزمن في لغة يمكن أن تبدو بطبيعتها، ومنذ أن وجدت أعلى تركيباً وأمتن بناءً ونسجاً وقدرة وتكتيفاً ومرونة على إقامة علاقات جديدة بين ألفاظها، إن في الحديث اليومي أو في الإبداع العقلي.

صحيح أن هناك فروقاً فردية وامتزجة وظروفاً لا تجعل من اللغة واحدة متّحدة، إلا أننا نرى بأن اللغة تحولت اليوم إلى نوع من «الخطأ» لا نعرف في كثير من الأحيان،

(7) في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص 17 و23.

(8) اللغة والتفسير والتواصل، مرجع سابق، ص 33.

(9) راجع نظريات وسائل الإعلام، مرجع سابق.

كيف نقيم علاقات بين ألفاظها، بل لا نعرف من أين حملت ما حملته من المعاني.

التقاليد اللغوية الثابتة هي نتيجة جهد بشري، فردي، جماعي حضاري، تاريخي، وبعد شيوع تلك المعاني، تأتي براعة الأدباء في تشكيلة خاصة للألفاظ يتميزون بها، وتكون التقاليد قاعدة لها تُظهر قدرة المرسل في استخدام اللغة واكتشاف طاقاتها الكامنة بإقامة علاقات جديدة بين ألفاظها. «فبراعة اللفظ تزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسنًا ورونقًا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن، وزيادة لم تعهد»<sup>(10)</sup>. ويقول ابن الأثير: «... ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره»<sup>(11)</sup>.

### مقاصد اللغة وفهم الواقع

تعريف اللغة في التراث العربي ينطلق من منبع المتكلم فهي عند ابن جنّي: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»، والبيان على حدّ تعريف الطبري هو الإبانة عمّا في نفس المتكلم «البيان، الذي به عن ضمائر صدورهم يبينون، وبه على عزائم نفوسهم يدلون... وإلى حاجاتهم به يتوصلون، وبه بينهم يتحاورون فيتعارفون ويتعاملون»<sup>(12)</sup>. فاللغة إذن هي الوسيلة التي يستطيع المتكلم بها تحويل الشيء المضمّر في دخيلة ذاته إلى علامات صوتية، يمكن أن تصل إلى متلقٍ يستطيع أن يعرف من خلال قراءتها هذه الأغراض التي تجيش بها نفس المتكلم. والفرض المطروح هو أن المتكلم يتوجه نحو المتلقي بالكلام فيسعى إلى توصيل محتوى النفس هذا إليه، فمن العبث إرسال رسالة إلى مخاطب دون هذا الهدف. فمحتوى النفس الذي يعبر عنه ابن جنّي «بالأغراض» والطبري «بالضمائر» هو ما يصطلح على تسميته في علم اللغة القديم والحديث بقصد المتكلم. وقد حلّ نصر حامد أبو زيد مستويات الدلالة في التراث العربي حيث تطرّق إلى الفارق بين دلالة العلامات المفردة التي تكتسب دلالتها من فعل المواضعة، ودلالة الخطاب الذي لا يكتسب دلالته إلا بفعل قصد المتكلم<sup>(13)</sup>.

إن الكلام ينشأ من النفس، نفس المتكلم؛ مقولة جوهرية بالنسبة لكل التفكير اللغوي، لكن هل يعني ذلك أن الدلالة تنبع دائماً من المتكلم؟

الواقع أن الأسلوبيات التي كانت قد ورثت البلاغة القديمة وأسست عليها،

(10) الأمدي: الموازنة، ج 1، ط 1، القاهرة، 1961، ص 402.

(11) ابن الأثير: المثل السائر، ج 1، ط 1، القاهرة، 1939، ص 143.

(12) الطبري: جامع البيان، القاهرة، ط 2، 1954، ج 1، ص 5.

(13) سيزا قاسم: القاريء والنص، عالم الفكر، العددان الثالث والرابع، 1995.

استفادت من مناهج عديدة للعلوم وبننت عليها وطورتها، مستفيدة من المقاييس والموازين العلمية التي تقوم عليها العلوم اللسانية بكل ما لها من تقنيات حديثة. فارتبطت الأسلوبيات هنا بالعملية الإيصالية والتواصلية التي هي جوهر البحث اللساني، وانطلاقاً من هذا الارتباط فإن الباحثين الأسلوبيين ينطلقون من أحد ثلاثة خيارات<sup>(14)</sup>.

1 - ينطلق بعضهم من المرسل فيدرس اختياراته حال ممارسة عملية الإبداع، وبذلك فإن الأسلوب عند هؤلاء هو اختيار أو «انتقاء».

2 - ينطلق بعضهم من المتلقي، لذلك يدرس ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها المتلقي حيال المنبهات الأسلوبية في النص.

3 - وينطلق بعضهم من مبدأ عزل المرسل والمتلقي، لذلك تراهم ينطلقون من وصف النص ذاته، وبذلك فإن الأسلوب عند هؤلاء إما يكون «عدولاً» عن النمط اللغوي الشائع، وإما أن يكون «إضافات جديدة» إلى تعبير محايد، وإما أن يكون مميزات متضمنة في السمات اللغوية التي تتنوع بتنوع السياق.

إذن أصبحت الإجابة اليوم على منبع الدلالة مفتوحة على الخيارات الثلاثة معاً وليس فقط من المتكلم أو من قصد المتكلم كما كانت في الماضي، علماً بأن الجاحظ كان قد تحدّث عن الخيار الثاني، أي عن إنتاج النص من قبل القارئ عندما وصف القراءة قائلاً:

«الكتاب وعاءٌ ملىء علماء، وظرف حشي ظرفاً، وإناء شحن مزاحاً وجَدّاً، إن شئت كان أبين من سحبان بن وائل، وإن شئت كان أعياناً باقلاً، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألهمت طرائفه، وإن شئت أشجكت مواعظه<sup>(15)</sup>...»

## المسميات والمعاني ووسائل الاتصال

المناقشات الحديثة عن طبيعة وسائل الاتصال، ما زالت تركّز على أهمية الربط بين المسميات والمعاني من خلال عملية الاتفاق الاجتماعي، لأن هناك من الأسباب ما يكفي للقول بأن وسائل الإعلام تقوم بتركيب معاني للواقع ضمن شكل محدّد من نتاج العقل المحكوم بإيديولوجيا التقنية، باعتبارها المعادل الموضوعي والتاريخي لهوية أي مشروع ثقافي بما فيه المشروع الثقافي الغربي، حيث بات احتياز العلم والتقنية يهدّد فعالية المعرفة بتقاليدها الثقافية العريقة في جميع المجتمعات بما فيها المجتمع الغربي. لقد استطاعت منتجات التقنية أن تفجّر سيميولوجيا اللغات الثقافية المختلفة لمشاريع

(14) مازن الوعر: «الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية»، عالم الفكر، العددان الثالث والرابع، 1994.

(15) الجاحظ: كتاب الحيوان، القاهرة، ط 2، ج 1، ص 38.

الأمم الأخرى، وتحلّ مكانها سيميولوجيا الأشياء - المنتجات - التي غدت هي اللغة اليومية للجميع، هي أدوات الاتصال والمشاركة والتفاهم التي تخترق الحدود والهويات التقليدية لمشاريع الأمم، وتفرض عليها حقلاً دلاليّاً متجانساً بقوانينه، وأمره ونواهيه وقيمه ومعادلاته الفكرية والسلوكية، وتقصرها هكذا على التخلي عن لغاتها الثقافية الخاصة، وتختزلها في شبكة الأنماط التلاؤمية مع فعل التعاطي اليومي مع الأشياء - المنتجات - التي أعادت صياغة الواقع بحسب دلالات الواقع الاستراتيجي لسيطرة القيادة الواحدة للتقنية... «فقد تراجعت الخطابات اللغوية للمشاريع الثقافية للأمم الصناعية وغير الصناعية، أمام الزحف المستمر الطاغوي لسيميولوجيا الأشياء التي غدت وحدها تمثل منظومات أدوات الاتصال الجماهيري والعالمي في حين تتحول البضاعة ذاتها دائماً إلى رموزٍ جوفاء لا قيمة لها إن لم تشر إلى ذلك المجال الدلالي وتحرك توتره...»<sup>(16)</sup>.

هذه اللغة التي باتت تُفرض علينا في اتصالنا بالعالم الخارجي، لا تخالف المعاني التي اتفقنا عليها فحسب، بل أصبحت وظيفتها تشابه وظيفة اللغة الشعرية «إزاحة للكلمات وتبديلاً لها»، كما أنها لم تعد في المنظور الوظيفي وسيلة للتواصل من أقرب الطرق وبأقل جهد.

وإذا كان الانزياح مقبولاً في الفن وهو مقصود ومتعمد فيه، لا يهم كثيراً أن تكون المعاني فيه لا علاقة لها بالحقيقة، إلا أنه في التواصل الإعلامي قد يفقد أفراد المجتمع الاتصال في ما بينهم وفي تفهمهم لبعضهم البعض. وإذا كنا نشكو من الفقرة والتضاد فذلك يعني أننا نتداول التغيّر والثبات في نشاط اللغة بطريقة تحتاج إلى التأمل. فالمفاهيم هي أساس المعرفة ونقطة البداية لنظرية الاتصال الإنساني. فهي تمثل طريقة انتسابنا للواقع بأن نهتم بتجاربنا الداخلية الذاتية عن الأشياء، وعن الظروف والعلاقات في بيئتنا المادية والاجتماعية. هكذا يصبح المجتمع مجموعة من المفاهيم مبنية على أساس تبادل رمزي، واللغة تركيب اجتماعي لكلمات متفق عليها ومعاني لهذه الكلمات.

بينما نرى اليوم في ظل سيميولوجيا الأشياء وحلولها محل سيميولوجيا المفاهيم والتصورات بأن الخطابات اللسانية في المجتمعات المتقدمة غدت أنساقاً رمزية تحيل إلى منظومات الأشياء وحركتها الواقعية في مختلف المجالات الدلالية. وبذلك أصبحت نظرية المعرفة الشمولية أسيرة نموذج فريد من العلمية لا تجد متنفساً لها إلا باستعادة «التخييل الصوفاني»<sup>(17)</sup> الذي يطرح إشكالية كبيرة: في عملية التواصل بين الباث أو القطب والمتلقي أو (المريد) وفي طبائع الشفرات للرسالة التي تقتضي من المرسل إليه

(16) مطاع صفدي: «ميثافيزيا الشبه والهوية»، الفكر العربي المعاصر، العدد 17، ك 2، 1982.

(17) مطاع صفدي: مرجع سابق، ص 4.

أن تتوفر فيه شروط الوعي الباطني بمرجعية الرسالة، وبالتالي فإن الخطاب الصوفي يقدم رسالته إلى النخبة الروحية التي تتواصل معه تواصلاً مواجداً يختلف تماماً عن بقية الكتابات الأخرى التي تراعي وضوح مسألة التواصل، وتحرص عليها حتى تكون مقروءة.

هذه الإشكالية تحدّد علاقاتنا اليوم بزماننا العابر للحدود بين المجتمعات واللغات والثقافات عبر طرقات الإعلام وشبكات الاتصال التي اجتاحت جميع الرسائل والعلامات، لدرجة أن اللغة السائدة بإشكالياتها وعدتها الفكرية لم تعد تفي بقراءة العالم، وبتعبير آخر إننا أمام لغة جديدة نصوصها تتحرك بسرعة الضوء، وفك رموزها تتطلب أعماراً اصطناعية وادمغة إلكترونية وثروات رمزية... إنه حقاً زمن التصادم وليس زمن التواصل.

## اللغة - المعرفة - والسلوك

كلّ منا للآخر بمثابة مرآة

تعكس صورة الآخر عندما يمر أمامها<sup>(18)</sup>.

أصبح من الواضح أنه كان هناك علاقة وثيقة بين تركيب اللغة وبين الطريقة التي يستخدم الناس بها هذه اللغة، لإثارة المعاني في داخلهم. فالمعاني السليمة للكلمات واستخدام قواعد اللغة المناسبة، أمرٌ يتعلق بنوع الاتفاقيات التي يشترك فيها المتحدثون إلى أية رموز أو نماذج يجب أن تتجه المعاني. فإذا زال هذا الاتفاق الجماعي حول معاني الكلمات وما ترمز إليه، فإنه من الطبيعي أن يصبح الاتصال مستحيلاً. ولهذا يصبح من المفهوم سبب اتجاه الإنسان للحفاظ على الاتفاقيات التي تم التوصل إليها على مرّ التاريخ حول معاني الكلمات.

فاللغة هي دليل للواقع الاجتماعي؛ وهي تكيّف كل تفكيرنا حول المشاكل والعمليات الاجتماعية. فالبشر لا يعيشون في عالم موضوعي فقط، ولا في عالم النشاط الاجتماعي كما هو مفهوم عادة، ولكنهم يوجدون تحت رحمة اللغة الخاصة بهم، والتي أصبحت الوسيط للتعبير عن مجتمعهم. ومن الوهم تصور أن الإنسان يتكيّف مع الواقع بدون استخدام اللغة... وحقيقة الأمر أن «العالم الحقيقي» هو إلى حدّ كبير مبني بطريقة لاشعورية على أساس عادات الجماعة في استخدام اللغة<sup>(19)</sup>.

من الواضح أنه عندما نتحدّث معاً أو نقرأ الصحيفة، أو نستمع إلى الراديو، أو نشاهد التلفزيون فمن المفروض بمن يشاركون في هذا النشاط أن يعرفوا قواعد

(18) هذه الكلمات لشارل مورتون كولي وردت في كتاب نظريات وسائل الإعلام، ص 352.

(19) نظريات وسائل الإعلام، ص 349.

استخدام الرموز وتفسيرها لخلق معانٍ ذاتية داخلية في الذين يتلقون الرسالة. لكننا نجد انفسنا اليوم إزاء شكل جديد من أشكال العالمية أو الكونية للمفاهيم والمعاني التي ترتبط بصورة ورموز لعالم جديد مستقل تماماً عن إرادة الإنسان وتصورات الثقافية السابقة.

إن وسائل الاتصالات الجماهيرية تتداول كلمات ومفاهيم مثل الأصالة - السلفية - القومية - الاستراتيجية - الجماهير - القادة - الديمقراطية - الحرية... يصعب معها إيجاد تفسير مشترك أو معنى واحد أو إسقاطها في حقول دلالية محددة.

إن هذه المفاهيم تصطنع لها واقعاً جديداً يتجاوب مع «العولمة»، وعلى العالم أن يتجاوب مع العلامات الجديدة، بما فيه العالم الغربي، فنحن لم نعد وحدنا مستبعدين من هذا العالم «العديد من المثقفين الأوروبيين ينضمون إلى جوقة الكلام على الغزو الثقافي، بعد أن كنا نستأثر وحدنا بطرح هذه المقولة في سوق التداول»<sup>(20)</sup>.

إن التواصل على نحو كوكبي - برأي إيديولوجي العولمة - يفرض التفكير والعمل على نحو كوكبي لبناء المجتمع العالمي، بحيث يكون لكل قسطه بحسب ما يصنعه بنفسه وينتجه من الحقائق. لأن موضوع العلاقة بين المعرفة وبين السلوك هام جداً في فهم الحياة المعاصرة، كما أن إدراك المفاهيم الجديدة يهيئ الظروف المناسبة لقراراتنا المتعلقة بالتصرف.

ويتضح لنا الآن أكثر وأكثر أننا - مثل الرجال في كهف أفلاطون - أصبحنا نشهد بازدياد عالماً تسوده مفاهيم وسائل الإعلام أكثر مما نشهد الحقيقة نفسها، ونرى تمثيلاً للواقع وليس الواقع نفسه. فإذا أخذنا بعضاً من المفاهيم التي تتداولها وسائل الإعلام نرى لها تعريفات تختلف باختلاف النموذج والموقع الذي نعمم عليه هذا التعريف: فالأصولية لا تعتبر أصولية إلا في حال معاداة الغرب على مثال النموذج الإيراني. بينما هي في الدول الأكثر أصولية في العالم «انفتاح» و«معاصرة» على مثال النموذج الأفغاني.

لقد رأى أهل النظر من العرب أمثال شكري فيصل ومصطفى ناصف وزكي نجيب محمود بأن الضرورات الشعرية «ليست... إلا من ألوان الانحرافات اللغوية»، و«السجع ردة جاهلية»، وأسلوب ابن المقفع «انحراف عن الأسلوب القرآني الأصيل»، وقرنوا بين «الانحراف» وبين «الاستعمال الخاطئ»<sup>(21)</sup>. فما سيقولون عن إزاحة المعنى و«الانزياح» و«العدول» و«التجاوز» و«الانتهاك» وخرق قانون اللغة والابتعاد عن المؤلف والمستعمل؟

(20) «ظاهرة العولمة ومستقبل العالم»، السفير الثقافي، العدد 68، 11 - 4 - 1997.

(21) انظر: عالم الفكر، العدد الثالث، يناير/ مارس، 1997، ص 62.